تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

البعد التّحرري في رحاب الأغنية الثّورية الجزائرية

The Liberal Dimension in the wings of the Algerian Revolutionary Song.

د/ البشير بوقاعدة
أستاذ محاضر قسم أ، جامعة مُحَمَّد لمين دباغين سطيف2، الجزائر.
boukaadabachir@yahoo.com

الملخص: نروم في متن هذه الورقية البحثية استتباع طبيعة التراث الشعبي وتمظهراته ومن ضمنه: الأغنية الثورية ذات المضمون السياسي الوطني التي استوعبت مشروع النضال التحرري والأهازيج الشعبية التي عكست بطولات الشعب الجزائري وتضحياته في سبيل تحرير الجزائر، ومعاينة الروافد الثقافية والهوياتية التي تُغذيه، وإبراز البعد التحرري لهذه القوة المعنوية التي كانت رفيق السلاح في مقاومة المحتل الفرنسي ونصرة القضية الوطنية التحررية، ومكاشفة صدى هذا الخطاب التأثيري في نفوس الجماهير الجزائرية وجنود الثورة التحريرية، وقيمة هذه الرسالة الشعبية في تاريخ النضال التحرري، وموقعها في حفظ هوية الجزائري وكرامته وشخصيته وسيادته.

الكلمات المفتاحية: البعد الثوري، الأغنية الثورية، الحماس، التشجيع، الرسالة الشعبية.

Abstract:

The author of this research paper aims at following the nature of folklore and its manifestations, including: the revolutionary song with a national political content that reflects the project of the liberation struggle and popular songs that reflected the heroism of the Algerian people and their sacrifices for the liberation of Algeria, examining the cultural and identity tributaries that nourish it,

and highlighting the liberating dimension of this moral force that worked together with arms in opposing the French occupier and supporting the national liberation

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

cause, and revealing the echo of this influential discourse in the hearts of the Algerian masses and soldiers of the liberation
revolution, and the value of this popular message in the history of the liberation struggle, and its
position in preserving the Algerian identity, dignity, personality and sovereignty

Keywords: Revolutionary dimension, revolutionary song, enthusiasm, encouragement, popular message.

- **مقدمة:**

تنطلق هذه الورقة البحثية من أساس تاريخي مفاده: أنّ أدوات الكفاح الجزائري في وجه المحتل الفرنسي ابان الثورة التحريرية، وآلياته، تلونت أوجهها وتعددت مظاهرها ومقوماتها؛ إذ استثمر الشعب الجزائري تحت لواء جبهة وجيش التحرير الوطني في كل ما هو متاح –مادي ومعنوي– في سبيل تحرير الجزائر ونافح بكل ما وجد إلى ذلك سبيلا في مسعى افتكاك السيادة الوطنية، وإنهاء عهد الاستبداد، وطي آخر الصفحات من كتاب الاستدمار الفرنسي بالجزائر، وكانت الأغنية الثورية من بين الأسلحة التي فعلت فعلها في دعم الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962) وسندا معنويا إلى صف الأسلحة المادية.

لذلك، فتحت لنا الإشكالية التي طرحها القائمون على ملتقى "البعد الشعبي للثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962"، بابا بحثيا، رأينا أن نلج إلى حقله لنفاحص اشكالية محورية نراها تندرج ضمن مقومات شدّ اللحمة الجزائرية خلال مسار الحراك الثوري ضدّ المحتل الفرنسي، ومادة غراء لتقوية الصف الوطني وتكاثف الجهد الثوري، وآلية من آليات التحميس والتشجيع ورفع معنويات الثوار والمناضلين في سبيل القضية الوطنية التحررية، وسلاحا من أسلحة فضح مخططات العدو الفرنسي وكشف سياسته الاستدمارية الهادفة إلى التغليط، والمراوغة، والإضعاف من قوة الثورة التحريرية.

وعليه، نروم في متن هذه الورقية البحثية استتباع طبيعة التراث الشعبي وتمظهراته ومن ضمنه: الأغنية الثورية ذات المضمون السياسي الوطني التي استوعبت مشروع النضال التحرري والأهازيج الشعبية التي عكست بطولات الشعب الجزائري وتضحياته في سبيل تحرير الجزائر، ومعاينة الروافد الثقافية والهوياتية التي تغذيه، وإبراز البعد التحرري لهذه القوة المعنوية التي كانت رفيق السلاح في مقاومة المحتل الفرنسي ونصرة القضية الوطنية التحررية، ومكاشفة صدى هذا الخطاب التأثيري في نفوس الجماهير الجزائرية وجنود الثورة

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

التحريرية، وقيمة هذه الرسالة الشعبية في تاريخ النضال التحرري، وموقعها في حفظ هوية الجزائري وكرامته وشخصيته وسيادته.

1. الأغنية الثورة: مفاهيم ودلالات:

هناك ذخيرة غزيرة ومتلونة من أشكال التعبير الشعبي عن رفض الجزائريين القاطع للوجود الاستدماري؛ تلك التي عكست موقفه المساند للثورة، المجابه للاحتلال، ومن ذلك الأغنية الثورية، والأهازيج[1]، فما هي الأغنية الثورية؟ وما أبرز دلالاتها؟

الأغنية الثورية: لون من ألوان التعبير الأدبي الفني الذي جادت به قرائح الفئات الشعبية أو النابعة – كما اصطلح عليه أحدهم– من **"أعماق الفئات المسحوقة أيام الثورة"**[2]، تجمع بين الكلمة الجميلة المعبرة واللحن العذب المميز، والأداء الهادف، تؤديها النسوة وحتى الرجال على حد سواء[3]. بحيث تنسج مفرداتها وتعابيرها لأغرض تحميسية تشجيعية، وتنويرية توعوية، تعكس في بعض أبعادها: التفاعل الحميم **"بين مبدعها والأحداث التي عصفت بالمنطقة أمام ناظريه"**[4]، كما تعكس تضافر الجهد الشعبي مع نضال الثوار في سبيل القضية الوطنية التحريرية، وتلاحمهم في سبيلها، وقد كان لهذا السلاح المعنوي صدى كبيرا في الأوساط الشعبية، ومفعولا قويا في نفوسها ودويا لامعا في قلوبها[5]. وعبارات هذه الأغاني الثورية أو كلماتها أو جملها ومفرداتها، مستوحاة في الغالب من قصائد شعبية منتظمة كلماتها ومتناسقة أو غير منتظمة، لكنّها معبّرة، أنتجها الفرد الجزائري متعلما كان أو غير متعلم، وبأي لهجة جزائرية كانت، وفي أي موضع من مناطق الجزائر وأراضيها الشاسعة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب؛ بما يعكس شمولية الثورة، والتفاف الشعب الجزائري برمته حولها، وتضافر جهوده لدعمها[6]، واستثماره كل ما هو متاح بين يديه لتطعيمها وتغذية معاركها ومساندة جنودها وقادتها: ثقافيا وفكريا كان، أو دينيا، أو عسكريا، أو اقتصاديا، أو بدنيا؛ أي ماديا ومعنويا.

وبذلك؛ فهي تعابير نابعة من عمق الإحساس بحب الوطن والانتماء إليه والتضحية لوجهه، والشعور بالمسؤولية الكفاحية في سبيله، والنضالية لتحريره من قيود الاحتلال وسياسة الاضطهاد والتعسف الاستدماري. يتم نسج عباراتها ومفرداتها وفق نغمة معينة ولحن محدّد، يغنيها الرجال والنساء في الأسواق والأعراس والأفراح والأعياد ومختلف المناسبات؛ ليس احتفاء بها فحسب وتعبيرا عن فرحتهم وبهجتهم بطبيعة المناسبة، بل تعبيرا بشكل أساس عن مساندتهم لصوت الكفاح التحرري، ودعم جهود الثوار والمناضلين في سبيل تحرير الجزائر وتطهيرها من براثن الاحتلال.

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

ويضعنا صاحبا دراسة "**الأغنية الشعبية الثورية الجزائرية في المنطقة الشرقية**" أمام تعريف للأغنية الثورية، نحسبه لا ينفصم عما تم استعراضه؛ وذلك أنّها تعني: ذلك "**الاحتجاج المقترن بوعي طبقي، والسلاح الذي ترفعه الطبقات الكادحة الثورية، ضد معيشتها المنحطة...**"، "**فهي لسان الثورة وصورة نضال الشعب الجزائري ضد الطغاة تحمل بين ترانيمها مأساته ونضاله وبطولاته**"[7].

وعليه، فإنّ الأغنية الثورية ليست لها مناسبة محدّدة تؤدَّى خلالها؛ باعتبارها لسان حال الثورة، والراصد لتفاصيلها، والناطق بمجرياتها، والدافع المعنوي لتقوية دعائمها ودعم مسارها، بل إنّ مناسبتها هي مسار الثورة، تولد، وتحيا، وتتجدد طيلة مسار الثورة، حيث تؤدَّى مثلا: أثناء سير المعارك في وجه العدو الفرنسي بغرض شحن الهمم وشحذ العزائم، والتحفيز ورفع المعنويات، ورص الصفوف وشدّ اللحمة، سواء من طرف الثوار –رجالا ونساء– أو من طرف المواطنين وعامة الشعب ومختلف فئاته ونسيجه المجتمعي. كما تُؤديها النساء عند سماع صوت رصاص الثورة المدوي في وجه المحتل دعما ومؤازرة ومساندة، أو عقب هجومات العدو المستدمر المدمرة للقرى والمداشر والمدن[8]، والحاصدة للأرواح والأنفس؛ مواساةً وتخفيفا للوجع وتطبيبا للألم. ونحو ذلك من الأغراض؛ والتي سنأتي عليها بالتفصيل في محطة لاحقة من بحر هذه الدراسة.

وفي نهاية هذه المحطة من البحث، نعتقد أنّ الأمر لا يستقيم دون المرور على مفاهيم الأغنية الشعبية؛ باعتبار الأغنية الثورة جزء منها ولون من ألوانها. وعليه فالأغنية الشعبية عند البعض من أهل البحث تعني: ذلك الإبداع الفني الأدبي الذي ألفه الشعب للتعبير عن آلامه ومعاناته وتطلعاته؛ حيث أنّها "**تناشد الوجدان الجماعي للأمة، وتجتذب الشعب كله**"[9]. ويرى غيرهم: بأنّها القصيدة الملحنة المجهولة؛ بمعنى "**أنّها نشأت بين العامة من الناس في أزمنة ماضية، وبقيت متداولة أزمانا طويلة**"[10].

2. سمات الأغنية الثورية ومميزاتها:

للأغنية الثورية سمات متعدّدة ومميزات متلونة، نحاول التوقف عندها في هذا المبحث، بصورة جد موجزة؛ حتى لا نقع في التكرار واجترار ما تم تناوله من غيرنا من أهل البحث ممن استوقفته هذه المشكلة البحثية، ونالت حظها من المباحثة والدراسة من لدنه، وما غرضنا من التوقف عندها ولو بصورة مقتضبة إلا لكشف صورة عن طبيعة هذا النمط من الغناء الثوري، وتحديد سماته اللامعة التي أفصحت عن هويته الثقافية والتراثية والفنية. ومن هذه السمات والمميزات:

– **بساطة الأسلوب**: فأسلوب الأغاني الثورية بسيط غير معقد[11]؛ إذ أنّها في الغالب لم تصدر من شاعر وأديب يصنع كلماتها وفق قالب فني بديع الأسلوب ووفق أسس فنية منتظمة تتسق وفن نظم الشعر

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

والقصائد، ومعايير علمية دقيقة تعكس كفاءة ناظمها الفنية والأسلوبية وتخصصه الفني في نظم الشعر والقصيدة[12]، وإنما في الغالب ينظمها صاحبها بطريقة تلقائية عفوية[13]؛ نابعة من عمق المعاناة التي يتكبدها تحت سقف السياسة الاستدمارية[14]، ومن شعوره العميق بضرورة دعم الثورة، وتفعيل حراكها، وتقوية نشاطها، ودعم رجالها [15].

– **أغنية شعبية ملحنة:** تندرج في اطار والقصائد والشعر الشعبي، بما يثويه هذا الفن من مميزات، وتعابير، وخصائص فنية في البنية والمضمون والغاية [16].

– **المشافهة:** فهذا الإرث الثوري التاريخي وليد المشافهة، توارثته الأجيال في غالبه الأعم مشافهة، ولا يزال ذكره على الألسن متداولا شفاهة [17].

– **العفوية:** بحيث تعبر بشكل مباشر عن لحظات الوجدان والانفعال التي تختلج النفس والضمير [18]، تعبيرا عن مواقفها الداعمة للحراك الثوري، وتعايشها مع أحداثه، وفصوله ومعاركه[19]، وتناغمها مع فلسفته ومرافقتها مسارات تطوره، وتأقلمها مع مستجداته وتفاعلها معها.

– **الواقعية:** يتسم النص الثوري بالبعد الواقعي النابع من صدق عاطفة صاحبه شاعرا كان أو ناظما حرا، الواعي بقضية وطنه، والمستشعر لمسؤولية نضال شعب سلبت حريته، وثورة أمة تنشد استقلالها. وهذا الناظم لهذه الأغاني الثورية الناسج لكلماتها المعبرة، بمفرداتها الموزونة، وعباراتها الهادفة، كما يقول أحدهم: **"يعيش محنة الاحتلال بكل آلامها وجراحها... يقرض الشعر في لحظات الشدائد والمحن لا في لحظات الفراغ والتأمل الخيالي"**[20].

– **الطابع المؤثر:** فالأغنية الثورية لها طابع مميز تحكمه كلماتها، إذ ترسم أحيانا صور الحزن والألم الذي يخالج نفوس الشعب الجزائري تحت سقف سياسة الإبادة الانسانية المنتهجة من طرف المحتل الفرنسي، وأحيانا أخرى تنطق بصور الحماسة وجهود الدعم والمؤازرة لجنود الثورة وأبطالها، كما تعبّر –كما راق لأحدهم التعبير عنه– عن ذوق الفرد الشعبي والوجدان الجمعي للأمة الجزائرية [21].

– **تعدّد لهجاتها:** وذلك تبعا للمنطقة التي نبتت بين أظهر أهلها من مناطق الجزائر، بحكم التعدد اللهجاتي الذي يصطبغ به اللسان الجزائري في ربوع التراب الوطني سواء: اللهجات المنتشرة بمنطقة الشرق الجزائري كاللهجة الشاوية [22]، والقسنطينية والسطايفية ونحوها، أو بالوسط كاللهجة القبائلية أو العاصمية ونحو ذلك، أو بالغرب و بالجنوب الجزائري.

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

– **مجهولية المؤلف**: وذلك ليس على وجه التعميم بل في بعض الحالات –وربما بنسبة عالية–؛ بحيث يتم تداولها بين أفراد المجتمع الجزائري، وتنتشر بين عناصره وتتوسع، دون أن يتم في البعض من الأحايين تحديد هوية القائل إن كان فردا واحدا، أو القائلين إن اشترك جماعة في تأليفها وبناء كلماتها ونسج مضمونها، وذكرا كان أو أنثى[23].

3. أهمية الأغنية الثورية:

نحاول في هذا المبحث التعريج بصورة مقتضبة على مظاهر أهمية الأغنية الثورية من الناحية التاريخية والحضارية والتراثية، فلا يختلجنا الريب بأنّها تمثّل إرثا تاريخيا هاما ينطق بجهد الجزائري في حقبة زمنية من تاريخ بلاده في سبيل نهضة وطنه، وتحرير بلاده من قبضة الاحتلال وربقة الاستدمار الفرنسي. أما حتى تتضح معالم هذه الأهمية بشكل أقوى، وأنجع، فنعتقد بأنّ المحطة البحثية التي تليها؛ والتي سنطرق في متنها وظيفة الأغنية في مسار الحراك الثوري ودعم القضية الوطنية، ستتكفل بذلك. وعليه فإنّ من بين مظاهر أهمية الأغنية الثورية، ما نستعرضه في ما يأتي تبعا:

– تعدّ أحد المعايير التي تُمكّن من التعرف على ذوق الفرد، وطبيعة أحاسيسه، وما يختلج وجدانه من مشاعر تجاه وطنه[24].

– تعد دليل التصورات والخواطر النفسانية التي مر بها الجزائري خلال مسار الحراك الثوري الذي عايشه زمن الاحتلال الفرنسي، ومادة ناطقة بحماسته تجاه ثورته التحريرية، وعاطفة المساندة والدعم التي لم تفتر طيلة مسار النضال التحرري والكفاح المسلح في سبيل الاستقلال وتطهير الجزائر من دنس الاستدمار وبطش المحتل[25].

– تعرفنا الأغنية الثورية –في ضوء ما توصل إليه أهل البحث ومن استهوته هذه الاشكالية البحثية لمعالجتها وتحليلها– على المستوى الفكري للمجتمع، كما يمكن بواسطتها قياس ثقافته ومستواه الفكري[26].

– تمكن الأغنية الثورية أيضا من معرفة التركيبة اللغوية والأدبية واللسانية للنسيج الاجتماعي الجزائري على امتداد جغرافية بلاده المتربعة على مساحة واسعة[27].

– تساعد الأغنية الثورية على معرفة المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري؛ من الناحية الأخلاقية، والسلوكية، والتربوية. كما تعين على الوقوف على منظومة أعرافه وعاداته وتقاليده ونمط تفكيره[28].

– الأغنية الثورية في بعدها العاطفي الانساني، تعدّ آلية من آليات التسلية والتخفيف عن الهموم والتفريج عن الكروب، وجبر الخواطر، وطرد الأحزان وتطبيب جراحها المعنوية[29].

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

– كما تسهم الأغنية الثورية في تنشيط العزائم وتغذية الروح، وتبعث على التحدي والصمود والحماسة، والتعاون والتآلف والترابط الروحي والاجتماعي والوطني[30].

– ويضاف إلى ما سبق، أنّ الأغنية الثورية تعدّ مصدرا من مصادر الكتابة التاريخية، وتدوين أحداث الحراك الثوري في وجه المحتل الفرنسي. فقد تضمنت هذه الأغاني الثورية العديد من المعطيات والبيانات عن الحياة الثورية والنضال السياسي والعسكري الجزائري ضد المحتل؛ حيث وصفت حياة المجاهدين والثوار بالجبال، ورسمت مشاهد عن بطولاتهم ومعاركهم ضد العدو الفرنسي، وأطلعتنا على تواريخ الأحداث والمشاهد الثورية، وأشارت إلى أمكنتها ومواطنها الجغرافية المنتشرة عبر التراب الوطني، وألمحت إلى طبيعة الأسلحة المستخدمة في المعارك، وحتى إلى تفاصيلها ومجرياتها، ونتائجها ومخلفاتها [31]، كما ألمعت مادة هذه الأغاني حتى إلى طبيعة الواقع الاجتماعي المعاش تحت جناح المحتل الفرنسي، وظروفه الاقتصادية والثقافية وواقعه الديني. ومن ثم تعدّ الأغنية الثورية وثيقة تاريخية شفوية هامة لدراسة تاريخ التحريرية الكبرى، وتخليد بطولات الشعب الجزائري وكفاحه المسلح لتحرير الوطن من قبضة الاستدمار الفرنسي[32].

4. وظيفة الأغنية الثورية ومفعولها في دعم الحراك الثوري ضد المحتل الفرنسي:

قبل استعراض جوانب من أدوار الأغنية الشعبية ووظائفها الثورية، لا بأس من الاشارة إلى أنّنا بإزاء معالجة، وسيلة من وسائل الكفاح التحرري وأداة من الأدوات التي دعمت مساره، وآلية من الآليات التي تم استثمارها في مسعى الظفر بالحرية وتحقيق الاستقلال ومقاومة المحتل الفرنسي؛ والقائمة على أساس الكلمة واللحن الثوري، والتعبير الفني الأدبي الشعبي؛ أي بإزاء شكل من أشكال المقاومة المعنوية وسلاح من الأسلحة اللامادية. ومن أبرز الوظائف التي اضطلعت بها:

4. 1 تسجيل بطولات الشعب الجزائري:

حيث سجلت هذه الأغاني الثورية بمختلف طبوعها وألوان لهجاتها وترانيمها، نضال الشعب الجزائري التحرري، وبطولاته في سبيل استقلال وطنه، وأحداث الثورة التحريرية ومعاركها في وجه المحتل[33]، كما رسمت صورا حية عن الأحداث التي عصفت بالمنطقة التي عايشها مبدعها أو ناظمها أو وصلته أخبارها، فتفاعل معها تفاعلا حميميا، وسجلها –كما يراه أحد الباحثين– **"حية حارة كالدماء الفوارة التي كانت تسيل عقب وقعة، ومعركة مع المستعمر الفرنسي"**[34].

ومن أوجه ذلك في متون الأغنية الثورية، ما جاء في كلمات إحدى الأغاني:

المجاهد يصبر والطيارة تكشف وتصور والرومي اخبر ما صابش كيفاه ايدبر

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

أشواق العسكر في لاصاص أدم امغدر ما أحلى هذا المنظر كان اليوم الحرب
مطور لازمني نشعر والشعر هلّل وكبر العلم اخضر منور أمنا بالوكن تحرر
والبوسط يهدر والصحافة أدّور واتصور بالثورة نفرح ذا التاريخ لازم يتكرر[35].

4. 2 محاكاة معاناة الجزائري:

حيث ترسم صورا حية عن معاناته، وتنطق بجراحه العميقة التي أنتجها التعسف الاستدماري ووحشية المحتل، وتعكس آلامه. أي أنّه في هذه الأغاني الشعبية الوطنية تفجرت **"عواطف الشعراء الشعبيين، لتدل على مدى تأثرهم التي اضطهد وقهر فيها الشعب الجزائري"**[36].

ومن الأغاني الثورية التي تصور الوضع المزري الذي يعيشه الجزائري عقب الانتفاضات والمعارك في وجه المحتل الفرنسي أين كان الأخير لا يدّخر جهدا في مجابهتها بوسائل وحشية تشي بهمجية سياسته، وبطشه في ردود فعله، وبشاعة أساليبه وجبروتها:

جانا مرسول القايد ببرية قال جات من عند الفسياس
كي اقراها ابقات الأمة تتوحد تتلطف وتقول استر يا رحمان
قالوا جات اليوم قوانين جدد حكم شرع جديد ما راته لعيان
اللي يحب يعيش لفرانسا يسجد واللي يقول علاش ينفوه الكيان[37].

4. 3 إحياء الضمير الوطني لدى الفرد الجزائري:

من بين وظائف الأغنية الثورية في مسعى خدمة الحراك الثوري التحرري: أنّها تساعد على إحياء الضمير الوطني وبعث الحياة فيه حتى لا تخمد ناره أمام أساليب المحتل الفرنسي التعسفية الرامية لإماتة كل عرق ينبض بأكسجين الحرية، أو كل نفس تحيا بهوائها، كما لعبت دور أحد المحركات المعنوية لبعث النخوة والكرامة في نفس الجزائري، وإشعاره بوطنيته. وذلك من خلال بشكل أساس: العزف على الوتر الديني واستغلال وازعه؛ باستثمار الكلمات والمعاني الهادفة، وكذا من خلال كشف مغالطات العدو، وفضح مخططاته الإغرائية الخادعة، وتعرية مشاريعه التي ظاهرها مصلحة الجزائري وباطنها هدم كيانه الروحي، وضرب هويته الوطنية وسلخه عن شخصيته وجزائريته، وإضعاف قوته وقطع صلته بثورته وعزله عن قادتها ورموزها[38]. ومن الأغاني الثورية الباعثة على ما ذكرنا، ما جاء ضمن معاني كلمات إحدى الأغاني المخلّدة للثورة النوفمبرية، ومن بين أبيات قصيدتها ما نذكره تبعا:

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

نوفمبر راني نحييك نوفمبر راني نحييك
راك ذكرى يتلاقى المجاهد فيك خويا المجاهد ثورة ربعة وخمسين
هزيت السلاح غادرت الدار خليت مرتك وولادك صغار
درابو فرنسا متروك على طول السنين
صلوا على البشير وانت يا غالي القدرة عين المجاهدين[39].

4. 4 التوعية بالقضية الجزائرية:

يجمع أهل الدراسة التاريخية على أنّ الأغنية الشعبية الثورية أسهمت **"في بلورة الفكر الثوري، وعبرت عن المواقف السياسية النضالية لدى الشعب"** [40]، وأعانت على تعميق حب الوطن، والتضحية لأجله. فالأغنية الثورية أغنية هادفة تساعد على كشف السياسة الفرنسية الرامية إلى إفقاد الجزائري ثقته في نفسه وفي ثورته وفي قادتها، وترمي إلى تنوير العقل الجزائري بأهمية الوقوف إلى جانب الحراك التحرري، ومساندة الثورة، والذو بان في صفها، والاستماتة في دعمها ورص صفوفها، وهو ما يؤكده أحد الباحثين بقوله: أنّها **"تحاول طرح مفاهيم الثورة وشرح واقع الحال الشعب الذي يعيشه الشعب، كما أنها تشير إلى أهمية جمع الحقوق ونبذ التفرقة والتشتت"**[41]. ومصداق هذا من الأغاني الثورية التي خلّدها التاريخ واحتفظ لنا بها التراث الجزائري، ما نظمهم أحد الجزائريين زمن الثورة قائلا:

آه يا طفلة عربية ما تقوليش راح علية
اطلبي ربي صباح وعشية تعود الدولة عربية[42].

أو ما جاء في قول آخر:

ما تبكيش يا لعجوز ما تبكيش... ولدك شهيد
تبكي اميمة القومي اللي سينيا وولّى رومي[43].

كما جاء في إحدى الأغاني التي انتشرت بشكل مخصوص بالمنطقة الشرقية:

الجندي الطويل الطويل ومحزم عالقشابية
هو يحارب عالدين والكافر عالشهرية[44].

وهو مضمون يعبّر عن قيم الحرية، والشجاعة والقوة، والتضحية والجهاد والشهادة، ويدعو إلى التحلي بها من أجل تحرير الَوطن، ويذمُّ في المقابل سلوكات التعدّي، والظلم، والخيانة. وجميل ما أشار إليه أحد

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

الباحثين؛ وهو يعالج مسألة دور الأغنية الثورية في بناء الهوية الوطنية، ويشرح وظيفة هذا النمط من التعبير الأدبي في منطقة الطارف بأقصى الشرق الجزائري، وذلك أنّ ضريبة الدماء سجلت حضورها اللامع في خطاب الأغنية الثورية؛ على اعتبار أنّ ثمن الحرية جدّ غال ونفيس ونيلها ليس بالأمر الهين بل تتطلب تضحيات جسام، وضرائب كبيرة، ولا يخفى على ذي بصيرَة بأنّ أعظم تضحية قدّمها الجزائري زمنئذ في سبيل وطنه: هي التضحية بالنفس؛ أي ارتوت أرض الجزائر بدماء شهدائها الزكية الطاهرة؛ أولئك الذين ضحوا بأغلى ما يملكون في هذا الوجود؛ وهي أرواحهم وأنفسهم. وهو ما تعكسه بشكل جلي كلمات الأغنية التالية:

قداش نفكر يا خويا في الجزائر عادت حية
دم الشبان يقطر ومبزع في كل ثنية[45].

أو ما تعبّر عنه الكلمات التي جاءت ضمن أغنية آخر:

رانَا حررنا أرضنا من المحتل بدماء أولادنا الأبطال لا نبخل[46].

وفي المقابل، تعرضت الأغنية الثورية إلى سلوكات الجزائريين الذين انحازوا إلى صف المحتل وأعانوا جنوده، وخانوا القضية الوطنية، وشهرت بجرائمهم، وفضحت أفعالهم، وشوهت صورتهم، وعابت صنائعهم وقبحتها. ومن التسميات التي عرِفوا بها: الخونة، القومية، الحركة، البياعة، العملاء، والخبثاء ونحوها. ومصداق ذلك في متن الاغنية الثورية:

ازهاو ازهاو يا القومية واضربوا البندير
طيشتوا درابوا الجزاير اُوقُلتوا فرانسا خير
تحدثتو بالقاورية ديما وهذه خصلة منكم عديمة
طيشتوا درابوا الجزاير اُو تبعتوا ديغول[47].

وفي ذات السياق ترد كلمات الأغنية التالية:

يا انسا القومية طيبوا القهوة عالريشوا
وتفرنستوا في لغتكم وتبعتو العدو القاوري
انهار تروح فرانسا وين راح تعيشو[48].

وبالمثل ما ورد في معاني الأغنية الموالية:

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

القومية لعمى يعميكم فرنسا ما أدوم عليكم
يحيا جيش التحرير هو إعذب فيكم
القومية لعمى يعميكم الشهرية ما دوم عليكم
جيش التحرير حالف فيكم[49].

ويضاف إلى هذا ما جاء في أغنية تذم هي الأخرى القومية الخونة، وتشمت بهم، وتقدح في سلوكاتهم الدنيئة، وترصد مواقفهم غير المشرفة، وتعيب عليهم انحيازهم لصف العدو على حساب أبناء وطنهم وجلدتهم، ومن كلماتها:

آه يا طفلة يا بركاهم القومية واش دواهم
دواهم الموس والواد احذاهم[50].

ولا يختلف عنه ما تضمنته أغنية:

شوفو شوفو يا لولاد والناس لي خانوا لبلاد
شوفو شوفو يا لولاد والناس اللي تفرنسو على لبلاد
كبار الروس والقياد وزادوا علينا القومية[51].

وفي هذا دلالة واضحة على مدى ثقة الشعب بثورته، ويقينه بأنّه سيظفر بالحرية لا محالة ما دام يقف سندا قويا إلى جانب الثوار، ومادام قادة الثورة وجنودها لا يدّخرون شيئا في سبيلها، وأنّه كلّه إصرار وعزيمة على مرافقة الحراك الثوري وتطعيمه وتغذيته بالنفس والنفيس.

4. 5 شحن الهمم ورفع التحدي:

مثّلت الأغنية الثورية إلى حدّ ما بطارية شحن للهمم، ومؤجج الحماسة في النفس والحمية في القلب، ومحرك للدافعية نحو رفع التحدّي في وجه المحتل، والاستماتة في نصرة القضية الوطنية والتفاعل مع قادتها ومناضليها ومؤازرتهم بكل ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ومصدر إمداد بالطاقة والقوة والدافعية نحو الجهاد والتضحية في سبيل القضية الوطنية. ومن الأغاني التي تزكي هذا الطرح، ما جاء في إحداها في قول ناظمها:

يمه حنه واشري لي علاقة نطلع لروس الجبال ونعاون الفلاقة[52].

أو ما جاء في كلمات أغنية أخرى:

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

أيما علاش تبكي عليا والشوك ناقب رجليا
جزائر واجب عليا والله ما نرجه إلا إذا جبت الحرية [53].

ويثمن هذا كذلك ما تضمنه مقتطفات الأغنية الموالية:

يا خوتي المجاهدين كونوا خاوة متحدين
إذا متوا موتوا على الدين وإذا عشتوا جيبوا الحرية [54].

4. 6 تضميد الجراح:

كانت الأغنية الشعبية أحد الأدوية التي طببت الوجع الذي ألم بالجزائري تحت وطأة جبروت الإدارة الاحتلالية وطغيان سفاحيها، ومرهما لتضميد الجراح الناجمة عن بطشهم وتعسف جنودها وجلّاديها. ويرى في هذا الصدد أحد الباحثين بأنّ: الأغاني الثورية **"مرآة ناصعة، ينعكس عليها ما عاشه الشعب الجزائري طيلة سنوات الاستعمار"** [55].

وأضاف آخر بأنّها: **"مرآة عاكسة لواقع مأساوي رهيب، حيث جسدت ما عايشه الشعب الجزائري إبان فترة الاستعمار الفرنسي الغاشم"** [56]. ومن الأغاني الثورية التي تعكس ذلك الواقع:

والله والله يا القومية بربي نديو الحرية
والله والله يا القواد نربحوا وندوك للواد [57].

وفي أغنية أخرى جاء:

يا نسا القومية طيبوا القهوة عالريشوا
أنهار تروح فرنسا وين راح تعيشوا [58].

4. 7 تعرية سياسة العدو وفضح مخططاته الاحتلالية:

لا يخفى على كل ذي بصيرة ما تعرضت له الأمة الجزائرية على مدار مسافة زمنية معتبرة تحت سقف الاحتلال الفرنسي وتعسف فلسفته الاستدمارية؛ حيث ضغطت على الجزائري بفكي كماشة: الإخضاع العسكري بالقوة المادية والعنف الوحشي، من جهة، ومن جهة ثانية، سياسة التشويه الثقافي والمسخ الحضاري؛ من خلال -كما اصطلح عليه أحد الباحثين- **"إفراغ الشعوب من محتوياتها الثقافية والحضارية تسهيلا لعملية اخضاعها واستغلالها على جميع الأصعدة"** [59]. وكانت الأغنية الثورية من الأدوات الفنية التي تم استثمارها لفضح مخططات العدو الاستدمارية، وآلية من آليات توعية الجزائريين بقضية وطنهم وتعرية

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

مشروع المحتل الرامي إلى إخماد فتيل نار الثورة وفصل الشعب عن روحها وإبعاده عن حراكها، بل وحتى المساهمة في حفظ مقومات الهوية الوطنية، وترسيخها في الوجدان والوعي الجمعي الجزائري[60]. ومما ينطق بدور الأغنية الثورية في تعرية تلك السياسة الوحشية ويعين على الصمود في وجهها، ما تحيل إليه بعض الأغاني التي ورثتها أجيال الجزائر، ومما وقفنا عليه من ذلك، قول أحد الشعراء:

فرنسا واليهود خرجوا طريق الحدود

بلادنا بلاد الجنود جبناه بالبارود[61].

وكذلك ما تضمنته كلمات الأغنية التالية:

الله ينصر حزب الثوار حزب الثوار اللي معاه هانت لعمار

مسيو موريس يحسبها قفزة باريس قال غدوة نمشي للتفتيش يسهزا[62].

4. 8 الترغيب في الجهاد والتضحية:

نلمس في خطاب الأغنية الثورية في العديد من ثنياه معاني الحث الجهاد في سبيل الوطن، والتضحية لوجهه؛ بحيث نجد أنّ عبارتها ومفرداتها غنية بمعاني الشحن المعنوي المستوحاة من ديننا الحنيف، وبمعاني الوطنية، وعظيم الجزاء الذي يحظى به في الآخرة الذي يمنح نفسه في سبيل تحرير وطنه ويقدّمها لأجله لتطهيره من عبودية المحتل الفرنسي الذي سعى بكل قواه المادية والمعنوية لضرب هوية الجزائري الدينية والوطنية. ومن النماذج الناطقة بذلك في متن الأغنية الثورية:

زوج ذراري طلعوا لجبال والغابة غطت عليهم

إذا عاشور الحرية ليهم وإذا ماتوا الجنة ليهم[63].

أو ما ورد في أغنية أخرى:

يا خوتي يا مسلمين بيبان الجنة مفتوحين

لوكان تحاربوا على الدين باش تربحوا الحرية[64].

وعلى هذا الأساس يظهر جليا البعد الديني في طابع الأغنية الثورية الرامية إلى التحفيز، والحث على التضحية وبذل النفس في سبيل الوطن، وهو ما تزكيه المفردات التي تم توظيفها في هذين البيتن أو المقطعين من هذه الأغنية ا لأخيرة، وذلك من مثيل: "مسلمين"، و"الجنة"، و"الدين"، فنلاحظ أنّ أغلب مفرداتها ذات بعد ديني؛ تحمل دلالة الاعتقاد الجازم بعظيم الثواب الأخروي والذي ينشده كل مسلم وتهفو القلوب إليه وهو نيل رضوان الله والظفر بجنته والخلود فيها. كما تشي هذه الكلمات بعظيم الثقة التي يتحلى بها

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

الجزائري في ربه وخالقه، وحرصه على تقديم نفسه لوجهه عزوجل ليعيش حياة الحرية إن كُتبت له الحياة مع النصر المظفر بتحقيق الاستقلال، وإن استشهد فأمله أن يحيا إخوانه في كنف الحرية ويظفرَ هو بحياة النعيم في الجنة.

التوصيات:

في ضوء ما تم عرضه، يحسن بنا، تسجيل التوصيات التالية:

– في ظل التشتت الذي يعانيه التراث الشعبي والثوري الذي ينطق بتضحيات الجزائريين في سبيل الحرية والاستقلال، وتآكل الذاكرة الشعبية التي تختزنه بموت أصحابها، وضعف قدرتهم على التذكّر بسبب التقدّم في السن والمرض، بما يعرض هذا المخزون الشعبي الثوري للاندثار والزوال والتلاشي والفقدان، من الجدير الدعوة إلى العناية المركزة بحفظه وحمايته؛ من خلال تكثيف جهود رصد مواطنه وتحري وتقصي المخازن التي تحتويه في الذاكرة الشعبية في مختلف مناطق الوطن، ثم جمعه وتدوينه، وفق منهج محكم، حتى يبقى خالدا، يتردد على الألسن، وتتفاخر به أجيال الجزائر المتعاقبة، في مناسباتها وأعيادها الثورية، وتتذكر بطولات وأمجاد وتضحيات رموز ثورتها وأبطالها. خاصة وأنّ التراث الشعبي الجزائري الذي أفصحت عنه الأغنية الثورية والأهازيج متنوع ومترامي عبر مختلف مناطق الوطن من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، بما يعكس الثراء اللغوي واللهجاتي واللساني الجزائري، فكل منطقة عبرت عن رفضها للاستدمار ومقاومة المحتل بأغاني تعكس لهجتها المحلية.

*** **الهوامش** :

1 – سديرة سهام، الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري صورتها ونمطها وبناؤها الأغنية الثورة أنموذجا، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مج2، ع2، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، 2020، ص335.

2 – حني عبد اللطيف، دور الأغنية الشعبية الثورية في بناء الهوية الوطنية دراسة سوسيولوجية بمنطقة الطارف، مجلة الذاكرة، مج4، ع1، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2016، ص236.

3 – سديرة، المرجع السابق، ص335.

4 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص236.

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

5 – سديرة، المرجع السابق، ص335، حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص2333.

6 – غيلاني السبتي، الأغنية الشعبية الثورية الأوراسية مصدرا شفاهيا مكملا لأحداث الثورة التحريرية 1954–1962، مجلة دراسات وأبحاث، ع24، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2016، ص36.

7 – تواتي رحمة وحني عبد اللطيف، الأغنية الشعبية الثورية الجزائرية في المنطقة الشرقية بين مقاومة الاستعمار وجمالية التعبير، مجلة مقاربات، مج5، ع2، جامعة الجلفة، الجزائر، 2018، ص55.

8 – غيلاني، المرجع السابق ص36.

9 – سديرة، المرجع السابق، ص337. راجع كذلك: حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص235.

10 – سديرة، المرجع السابق، ص338.

11 – تواتي وحنة، المرجع السابق، ص54.

12 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص234.

13 – تواتي وحنة، المرجع السابق، ص54، سديرة، المرجع السابق، ص341.

14 – غيلاني، المرجع السابق، ص40.

15 – غيلاني، المرجع السابق، ص36، تواتي وحنة، المرجع السابق، ص55.

16 – تواتي وحنة، المرجع السابق، ص55.

17 – تواتي وحنة، المرجع السابق، ص55. انظر كذلك: غيلاني، المرجع السابق، ص40.

18 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص235، تواتي وحنة، المرجع السابق، ص55، سديرة، المرجع السابق، ص338.

19 – غيلاني، المرجع السابق ص37.

20 – سديرة، المرجع السابق، ص341.

21 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص235، تواتي وحنة، المرجع السابق، ص54، سديرة، المرجع السابق، ص338.

22 – انظر بشأنها دراسة: غيلاني، المرجع السابق ص36–40.

23 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص235، تواتي وحنة، المرجع السابق، ص55، سديرة، المرجع السابق، ص339.

24 – تواتي وحني، المرجع السابق، ص54، سديرة، المرجع السابق، ص338.

25 – سديرة، المرجع السابق، ص338.

26 – المرجع نفسه، ص338.

27 – تواتي وحني، المرجع السابق، ص54.

28 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص233.

29 – غيلاني، المرجع السابق، ص36.

30 – تواتي وحني، المرجع السابق، ص54، سديرة، المرجع السابق، ص338.

31 – غيلاني، المرجع السابق، ص36.

32 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص237.

33 – تواتي وحني، المرجع السابق، ص54، سديرة، المرجع السابق، ص338.

34 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص236. راجع كذلك: غيلاني، المرجع السابق، ص35.

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

35 – سديرة، المرجع السابق، ص343.
36 – سديرة، المرجع السابق، ص342. راجع كذلك: غيلاني، المرجع السابق، ص35-38.
37 – سديرة، المرجع السابق، ص341.
38 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص233.
39 – تواتي وحنة، المرجع السابق، ص56-57.
40 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص237.
41 – تواتي وحني، المرجع السابق، ص55.
42 – سديرة، المرجع السابق، ص343.
43 – عقاق قادة، الكلمة الشعرية ذات المنحى الثوري والبعد التحرري في الشعر الجزائري الحديث، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، مج3، ع1، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2004، ص64، سديرة، المرجع السابق، ص343.
44 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص238.
45 – المرجع نفسه، ص239.
46 – المرجع نفسه، ص239.
47 – المرجع نفسه، ص239.
48 – المرجع نفسه، ص239.
49 – مصاص جمعة، صورة المقاومة قي الأغنية الأوراسية الثورية، مجلة آفاق للعلوم، مج4، ع15، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2019، ص74.
50 – سديرة، المرجع السابق، ص343.
51 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص247.
52 – سديرة، المرجع السابق، ص343.
53 – تواتي وحنة، المرجع السابق، ص57.
54 – المرجع نفسه، ص57.
55 – المرجع نفسه، ص57.
56 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص235.
57 – تواتي وحنة، المرجع السابق، ص58.
58 – المرجع نفسه، ص59.
59 – لصهب عبد القادر، التراث الشعبي ودوره في التنمية، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج6، ع2، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2021، ص14.
60 – حني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص237، لصهب، المرجع السابق، ص14.
61 – سديرة، المرجع السابق، ص345-346.
62 – تواتي وحنة، المرجع السابق، ص57.
63 – مصاص جمعة، المرجع السابق، ص73.

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/29

64 – غيلاني، المرجع السابق، ص41.

قائمة المصادر والمراجع:

1. حني عبد اللطيف، دور الأغنية الشعبية الثورية في بناء الهوية الوطنية دراسة سوسيولوجية بمنطقة الطارف، مجلة الذاكرة، مج4، ع1، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2016.
2. تواتي رحمة وحني عبد اللطيف، الأغنية الشعبية الثورية الجزائرية في المنطقة الشرقية بين مقاومة الاستعمار وجمالية التعبير، مجلة مقاربات، مج5، ع2، جامعة الجلفة، الجزائر، 2018.
3. سديرة سهام، الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري صورتها ونمطها وبناؤها الأغنية الثورة أنموذجا، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مج2، ع2، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، 2020.
4. عقاق قادة، الكلمة الشعرية ذات المنحى الثوري والبعد التحرري في الشعر الجزائري الحديث، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، مج3، ع1، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2004.
5. غيلاني السبتي، الأغنية الشعبية الثورية الأوراسية مصدرا شفاهيا مكملا لأحداث الثورة التحريرية 1954-1962، مجلة دراسات وأبحاث، ع24، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2016.
6. لصهب عبد القادر، التراث الشعبي ودوره في التنمية، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج6، ع2، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2021.
7. مصاص جمعة، صورة المقاومة قي الأغنية الأوراسية الثورية، مجلة آفاق للعلوم، مج4، ع15، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2019.